

## رمضان والقلوب الرقيقة

سؤال: يأتينا شهر رمضان كل سنة وكأنه سكيّنة تنزل من السماء؛ فترقق قلوبنا وتذيبها، وتوصلها إلى قوام معيّن؛ فما الأمور التي توصوننا بها كي نستفيد من هذا الشهر الكريم استفادة كاملة في حياتنا الفردية والاجتماعية؟

الجواب: إن شهر رمضان يلوح في أفقنا بجمالياته الساحرة الجذابة مثل الصيام والإفطار والسحور وصلاة التراويح؛ فيشكل مناخاً قدسيّاً خاصّاً به، وهو ذو تأثير متميز تماماً حيث يسهم في أن تدرك الأرواح الصلاح مجدداً، وتسلم القلوب والأحاسيس والأفكار، وتهتدأ كل أنواع القسوة والخشونة، حتى في تلك الفترات التي تتوالى فيها التوترات، وتطفح فيها الشدة والعنف، وتعتبر المعارضة والمخالفة نوعاً من المهارة، ويعيش فيها جموع الناس فيما بينهم جموداً خطيراً، والواقع أن إنساننا يحمل في داخله مشاعر من الاحترام الحقيقي تجاه هذا الشهر المبارك الذي تُستشعر فيه الوداعة والرقّة واللفظ بشكل واضح؛ ومن هذه الزاوية فإننا حتى وإن كنا في الوقت الراهن محاطين من كل جهة بسلبيات مختلفة؛ إلا أننا إن أعطينا إرادتنا حقها، وفتحنا قلوبنا لهذه الفترة الزمنية المباركة، وآمنّا من أعماقنا ببركته، وتوجّهنا إليه بمشاعر التعظيم والاحترام؛ فإنه هو

أيضاً سوف يحتضننا، ويُفيض علينا بركته وابله غزيرة تشملنا من رؤوسنا إلى أخامص أقدامنا، وسوف يمكننا التغلب على الحدة والغضب والعنف، وبهذه الطريقة يسود من جديد مناخ من السعادة والطمأنينة والسكون في المجتمع.

### ليس تنوع الطعام، وإنما كثرة الضيوف

أما بالنسبة للأمر الواجب فعلها في هذا السياق؛ فهي على سبيل المثال تمثل في أن الشخص المقيم في شقة بعمارة سكنية يستطيع -بقدر طاقته- أن يبدي كرمه وحسن تصرفه بدعوته جيرانه -أيًا كانت ثقافتهم ومنطقهم- إلى مائدة الإفطار عن طريق إخبارهم بذلك قبل بضعة أيام من الموعد، ويقدم لهم بعد الطعام هدية صغيرة أعدها لهم مسبقاً قائلاً: "لقد شرفتمونا بتلبية الدعوة، وأتعبتم أنفسكم في تناول طعامنا، فارجو أن تفضلوا بقبول هذه الهدية البسيطة منا"، كما أنه يمكنه إسعاد قلوب أولادهم إن كان قادراً على ذلك، وبالشكل نفسه فإن من يعمل مدرّساً في مدرسة، أو أستاذاً في جامعة، أو عاملاً في مؤسسة يمكنه أن يساهم في تحقيق السلم الاجتماعي عبر فتحه باب منزله للجميع وإشراكهم في مائدة إفطاره دون تفريق بين فئة وأخرى.

ينبغي لنا أن نشتم ونستثمر هذا الشهر المبارك المليء بالنور بحيث لا يمر علينا يوم من أيامه على الإطلاق دون أن ينزل ضيف على مائدة إفطارنا. أجل، لا بد من إثراء موائد الإفطار بكثرة الضيوف وتنوعهم أكثر من إثرائها بكثرة الطعام، فقد قال الرسول الأكرم ﷺ كما تعلمون:

"طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ"<sup>(٩)</sup>.

ومن هذه الزاوية يجب ألا نقلق من كثرة الضيوف في شهر رمضان ذي البركة الخاصة به.

إن مثل هذا الأسلوب في التصرف طريق دبلوماسي مهم من أجل ردم الفجوات بين مختلف شرائح المجتمع، وتجاوز الأحكام المسبقة، فالحقيقة أن هناك كثيرًا من المشاكل التي يتعذر حلها بالقوة والشدة، ولا يُتغلب عليها بالوحدات العسكرية المدججة؛ يمكن حلها بهذا الطريق. أجل، إنكم إذا فتحت قلوبكم للجميع، ودخلتم قلوب مخاطبيكم بإنسانيتكم، وهيأتهم في قلوبكم مكانا يمكن للجميع أن يحل به، وبهذه الطريقة جعلتم القلوب تساندكم، فحينذاك تتم الحيلولة دون ما لا قبل لكم بها من شتى أنواع الكراهية والحقد والغیظ وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح؛ كما أنه لم يُشاهد على مر تاريخ الإنسانية مشكلات أو أزمات حُلَّت بالتهديدات على الإطلاق، بل لقد زاد غضب الناس بصورة أكثر في مواجهة التهديدات، وساروا نحو هيكلة أنفسهم بالتمحور حول التخريب بحرارة أكثر.

وكما ورد في أحد الأمثال التركية "فنجان قهوة خاطره أربعون سنة"؛ فإنه سيكون للإفطار الذي نقدمه لضيوفنا خاطر أربعين سنة، ومن هذه الزاوية فإنه لا بد من القيام حتمًا بمثل هذه الرجولة والكرم الذي يكون مردوده مختلفًا جدًّا، ولسنا ندري ربما أن بركة أخرى من بركات شهر رمضان المتميزة تكمن في هذا، أي إننا كما نستطيع الحصول على الثواب الأخرى بالصوم وصلاة التراويح؛ فإننا نحقق ربحًا ومكسبًا متميزًا عن طريق دخولنا قلوب الناس.

## صدى من وراء السماوات يدوي في القلوب

ويمكن أيضاً لرجال الخدمة الذين هرعوا إلى خدمة الإنسانية في كل أنحاء العالم أن يعتبروا شهر رمضان وسيلة مهمة للنفوذ إلى القلوب؛ فلقد كشفت الأضاحي التي تُذبح وتوزع في عيد الأضحى في كل أنحاء العالم -بدءاً من تركيا حتى آسيا وإفريقيا- عن كرم وأصالة إنساننا، فأصبحت وسيلة لفتح القلوب وإثارة عاطفة الثقة لدى هذه الشعوب فينا واقتناعهم بأن هناك أناساً هم محل ثقتهم وأمانهم، وعلى نفس الشاكلة قد يكون القيام بحملة تعبوية رمضانة عن طريق فتح أبواب الفطور والسحور أمام الجميع فرصة ذهبية لكسب العديد من القلوب والوصول إلى كيفية يرضى بها ربنا ﷻ، لأن المدعوين على الإفطار والسحور في رمضان لا سيما في بلاد غير مسلمة يتأثرون للغاية بمثل هذه الفعاليات حتى إنكم إن استمعتم إلى انطباعاتهم أدركتم بشكل أكبر مدى أهمية العمل الذي تقومون به، فمثلاً يأتيهم الأذان الذي يسبق الإفطار غصاً طرئاً فيطربون به ويُسحرون. ومن ثم ينبغي لنا أن نحسن استغلال هذه المناسبة في تعريف مخاطبينا بجمالياتنا والثراء المعنوي الذي عندنا.

وربما تؤدي جميع هذه الفعاليات إلى مجرد تعاطف هؤلاء المخاطبين في نظرهم إلى الإسلام، وليس لنا أن نستهن بهذا الأمر، فمن يدري لعل هؤلاء الذين يشعرون بالحيوية والطراوة في كل شيء يدركون مع الوقت جماليات الإسلام بشكل آخر، فيرتقون فجأة وبشكل عمودي إلى عرش كمالاتهم؛ ولذلك فإنني أعتقد أن الحصول على مثل هذه النتيجة جديرٌ بأن نقيم أمامهم الموائد كل يوم مرات لا مرة واحدة.

مع الأسف عاش الناس في عصرنا محرومين من جماليات الإسلام، لم يلمسوا السلوكيات والأخلاق الإسلامية؛ فأهم مهمة ملقاة على عاتقنا هي الكشف لهم عن الإسلام الحقيقي من خلال بنيتنا الأسرية، والعلاقة بين الأب والأم والأولاد عندنا، ومن خلال ولائتنا وكرمنا، فإن كان البعض يرى الإسلام "بُعْبَعًا" فالسبيل إلى إزالة هذا هو مخالطتهم وتأسيس علاقة وثيقة بيننا وبينهم، ومن ثم ينبغي أن يقوم المسلمون في هذا الشهر المبارك بتحقيق هذا الأمر بشكل معقول وفقًا لما يستلزمه موقعهم أيًا كان هو، مع الأخذ بالشورى والعقل والمنطق والعقلانية.

### ليس هناك عملٌ يحلّ محلّ العمل في رمضان

إن كل عبادة فرضها الله ﷻ علينا وكلفنا بها ستتخذ ماهية مختلفة على حسب أدائها لها، وستشهد لنا عنده تبارك وتعالى، وبقدر بذلنا في شهر الغفران هذا ستكون شهادة الشهر في حقنا قوية ندية، فإن أحسنًا استغلال هذا الشهر الفضيل شهد لنا لدى الحق تعالى عند رحيله عنّا وفراقه لنا وربما رشّحنا للدخول من باب "الريان"، من أجل ذلك علينا أن نقدّر العبادات التي كتبها الله علينا حق قدرها ونجلّها ونعظّمها ونسعى إلى استغلالها بالأسلوب الأمثل.

وسيعلم الإنسان أي الأعمال التي كانت سببًا في إسباغ النعم عليه في الآخرة، وهذا سيزيد من فرحته بقدر فرحته بهذه النعم، وربما يناجي ربه ﷻ شاكرًا له على أنعمه قائلاً: "حمداً لك يا ربي! شرفّنتني بالعمل بدايةً، وشرفّنتني بثوابه آخرًا".

أجل، سيعرف العبد صيامه هنالك معرفة كاملة، وسيتعرف على جوعه وظمئه وتعبه في صلاة التراويح، ومشاعره الجياشة حين القيام

للسحور، وكرمه في موائد الإفطار بشكل يتوافق مع خصوصيات العالم الآخر، وسيعيش فرحة هذا كله.

إن بعض العبادات والطاعات تستمدّ عمقها من ظرفها ووقتها خاصة، وهكذا كل عبادة وطاعة تُؤدّى في رمضان، وعلى ذلك تكتسب الأعمال في رمضان قيمة أخرى، ويتقرب الناس إلى ربّهم في رمضان بصورة مختلفة تماماً؛ فليس هناك صومٌ يبلغ صوم رمضان، كما أن عشرين ركعة في غير رمضان لا تعدل مطلقاً صلاة التراويح في رمضان، ولا يصل ثواب السحور في الليالي الأخرى في غير رمضان إلى ثواب السحور فيه، ولا يشبه انتظار الأذان الذي يسبق الإفطار في غير رمضان الأذان فيه.

والخلاصة: لا يتساوى ثواب الأعمال في غير رمضان مع ثواب الأعمال الذي يحصل عليه العبد في رمضان، فليس هناك عمل قط يملأ فراغ العمل في رمضان، فإن المؤمنين الصادقين الذين يشعرون بهذه الحقيقة بعمق في وجدانهم يشعرون بألم فراق غريب مع رحيل رمضان، ويلفّهم الحنين إلى أن يأتي رمضان القادم، ولا ندري ربما يكسبهم هذا الحنينُ ثوابَ رمضان آخر.

obeikandi.com

obeikandi.com

## مصادر

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)؛ سنن أبي داود؛ (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٣)؛ دار السلام، رياض.

أبو يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)؛ المسند؛ تحقيق: حسين سليم أسد؛ دار المأمون للتراث، دمشق، ١-١٣، ط ٢، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ السعادة - مصر، ١-١٠، ط ١، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م). [ثم صورتها عدة دور منها: ١- دار الكتاب العربي - بيروت، ٢- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ٣- دار الكتب العلمية - بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)].

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (ت: ٣٥٤هـ)؛ صحيح ابن حبان؛ تحقيق: شعيب الأرنؤوط؛ مؤسسة الرسالة، ١-١٨، بيروت، ط ١، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)؛ تفسير القرآن العظيم؛ تحقيق: سامي بن محمد سلامة؛ دار طيبة للنشر والتوزيع، ١-٨، ط ٢، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)؛ سنن ابن ماجه (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٦)؛ دار السلام، الرياض.

أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١-٦.

البنار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبىء الله العتكى (ت: ٢٩٢هـ)؛ مسند البنار؛ تحقيق: محفوظ الرحمن زىن الله (من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (من ١٠ إلى ١٧) وصبرى عبد الخالق الشافعى (١٨)؛ مكتبة العلوم والحكم، المىنة المنورة، ١-١٨، ط ١، (٢٠٠٩م).

البهىقى، أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخسروجرى الخراسانى، أبو بكر البهىقى (ت: ٤٥٨هـ)؛ شعب الإىمان؛ تحقيق: د. عبد العلى عبد الحمىء حامء؛ مكتبة الرشد، الرىاض، ط ١، ١-١٤، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

—————، كتاب الزهء الكبرى؛ تحقيق: عامر أحمد حىءر؛ مؤسسة الكتب الثقافىة، بىروت، ط ٣، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

البخارى، محمد بن إسماعىل أبو عبد الله البخارى الجعفى (ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م)؛ صحىح البخارى (موسوعة الحىءىء الشرفىء الكتب الستة-١)؛ ءار السلام، الرىاض.

—————، التارىخ الكبرى؛ ءائرة المعارف العثمانىة، حىءر آباء - الءكن، ١-٨.

الءىلمى، شىروىه بن شهرءار بن شىروىه بن فناخسوء، أبو شجاع الءىلمى الهمءانى (ت: ٥٠٩هـ)؛ الفردوس بمأثور الخطاب؛ تحقيق: السعىء بن بسىونى زغلول؛ ءار الكتب العلمىة، بىروت، ١-٥، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمءوىه بن نعىم ابن الحكم الضبىء الطهمانى النىسابورى (ت: ٤٠٥هـ)؛ المستءرك على الصحىحىن؛ تحقيق: مصطفى عبد القاءر عطا؛ ءار الكتب العلمىة، بىروت، ١-٤، ط ١، (١٤١١هـ/١٩٩٠م).

الطبرانى، سلمىمان بن أحمد بن أبوب بن مطىر اللخمى الشامى، أبو القاسم (ت: ٣٦٠هـ)؛ المعجم الصغىر؛ تحقيق: محمد شكور محمود الحاج آمرىر؛ المكآب الإسلامى، ءار عمار، بىروت، ١-٢، ط ١، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

—————، المعجم الأوسط؛ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن ابن إبراهىم الحسىنى؛ ءار الحرمىن، القاهرة.

—————، المعجم الكبرى؛ تحقيق: حمءى بن عبد المجدى السلفى؛ مكتبة ابن تىمىة، القاهرة، ١-٢٥، ط ١، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

الطبرى، محمد بن جرىر بن بىزىء بن كآىر بن غالب الأملى، أبو جعفر الطبرى (ت: ٣١٠هـ)؛ جامع البىان فى تأوىل القرآن؛ تحقيق: أحمد محمد شاكر؛ مؤسسة الرسالة، ١-٢٤، ط ١، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

الكشّي، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسّي (ت: ٥٢٤٩هـ)؛ المنتخب من مسند عبد بن حميد؛ تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي؛ مكتبة السنة - القاهرة، ط ١، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)؛ صحيح مسلم (موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة-٢)؛ دار السلام، الرياض.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)؛ سنن النسائي؛ دار المعرفة، بيروت، ١-٨، (١٩٩٢م).

السنن الكبرى؛ تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي؛ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١-١٠، ط ١، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

سعيد التوّزي، بديع الزمان (ت: ١٩٦٠م)؛ من كليات رسائل النور: الكلمات؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

من كليات رسائل النور: المكتوبات؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

من كليات رسائل النور: اللغات؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

من كليات رسائل النور: السيرة الذاتية؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

من كليات رسائل النور: الملاحق؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

من كليات رسائل النور: صيقل الإسلام؛ دار النيل للطباعة والنشر، إسطنبول، ط ٢، (١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

عبد الرازق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)؛ مصنف عبد الرازق؛ تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي؛ المكتب الإسلامي، بيروت، ١-١١، ط ٢، (١٤٠٣هـ).

العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت: ١١٦٢هـ)؛ كشف الخفاء ومزيل الإلباس؛ تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندواي؛ المكتبة العصرية، ١-٢، ط ١، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيمون القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ)؛ مسند الشهاب؛ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي؛ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١-٢، ط ١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)؛ المفردات في غريب القرآن؛ تحقيق: صفوان عدنان الداودي؛ دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت: ٢٧٩هـ)؛ سنن الترمذي؛ تحقيق: أحمد محمد شاكر؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥-١.